جهود المفسرين فى الرد على الباطنية فى القران الكريم

Efforts of Exegetes in Refuting Batiniyyah in the Holy Quran

إعداد

سعد بن عائض الصاعدي

Saad Ayed Al-Saedi

طالب دكتوراه بجامعة القصيم

Doi: 10.21608/jasis.2026.515835

استلام البحث ١٦ / ٤ / ٢٠٢٦

قبول البحث ٢٢ / ٥ / ٢٠٢٦

الصاعدي، سعد بن عائض (٢٠٢٦). جهود المفسرين في الرد على الباطنية في القران الكريم. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ١٠(٣٧)، ٣٥٣- ٣٦٨.

http://jasis.journals.ekb.eg

جهود المفسرين في الرد على الباطنية في القران الكريم

المستخلص:

هدفت الدراسة الى بيان المنهجية العلمية التي سار عليها مفسرو الأمة في مواجهة الانحرافات التفسيرية للباطنية، وموقفهم من دعاوى الباطنية في تحريف القرآن الكريم وصرف ألفاظه عن دلالاتها العربية المتبادرة. ولتحقيق أهداف الدراسة، اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي من خلال تتبع أقوال المفسرين في كتب التفسير والردود على البدع، حيث تمثل مجتمع وعينة الدراسة في النصوص النقلية والتحليلية التي وثقها علماء التفسير عبر العصور للرد على شبهات الباطنية، مستخدمين أدوات التحليل النصي والمقارنة المنهجية للكشف عن فساد استدلالاتهم. توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، أبرزها: أن الباطنية اتخذوا من التأويل الفاسد وسيلة لهدم أصول الشريعة، وأنهم يفتقرون إلى منهج معرفي أو لغوي رصين، معتمدين على الإسقاطات الوهمية لتمرير أجنداتهم، في حين أثبت المفسرون -من خلال الردود العلمية- أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وله دلالات ظاهرة معلومة لا تقبل التلاعب، وأن ادعاءات الباطنية هي نوع من الإلحاد في آيات الله يتنافى مع قواعد التلقي. وبناءً على ما تقدم، توصي الدراسة بضرورة العناية بنشر كتب الردود على الفرق الباطنية والمناهج المنحرفة، والتأكيد على تعليم الناس قواعد اللغة العربية بوصفها أداة رئيسية لفهم نصوص الوحي وحمايتها من التأويلات المعاصرة التي تحاكي في طرائقها المنهج الباطني القديم، مع تعزيز الوعي بضرورة التلقي عن العلماء الراسخين الذين حفظوا الأمة من هذه الزيغ والفتن.

الكلمات المفتاحية :الباطنية، القرآن الكريم، المفسرون، التأويل الفاسد، التفسير بالرأي، اللغة العربية.

Abstract:

This study aimed to clarify the scientific methodology adopted by the nation's exegetes in confronting the interpretive deviations of the Batiniyyah, and their stance against the Batiniyyah's claims of distorting the Holy Quran and diverting its terms from their apparent Arabic meanings. To achieve the study's objectives, the researcher relied on the descriptive, analytical, and inductive approach by tracking the statements of exegetes in books of interpretation and rebuttals of heresies. The population and sample of the study consisted of the transmitted and analytical texts documented by scholars of interpretation throughout the ages to refute the allegations of the Batiniyyah,

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

using tools of textual analysis and methodological comparison to uncover the corruption of their inferences. The study reached a number of results, most notably: that the Batiniyyah used corrupt interpretation as a means to demolish the foundations of Sharia, and that they lack a solid cognitive or linguistic methodology, relying on illusory projections to pass their agendas. Meanwhile, exegetes demonstrated—through scientific rebuttals—that the Holy Quran was revealed in a clear Arabic tongue and has apparent, known meanings that do not accept manipulation, and that the claims of the Batiniyyah are a form of heresy in the verses of God that contradicts the rules of reception. Based on the above, the study recommends the necessity of taking care to publish books refuting Batiniyyah sects and deviant methodologies, and emphasizing the teaching of the rules of the Arabic language as a main tool for understanding the texts of revelation and protecting them from contemporary interpretations that emulate in their methods the ancient Batiniyyah approach, while enhancing awareness of the necessity of receiving knowledge from established scholars who have protected the nation from these deviations and tribulations.

Keywords: Batiniyyah, The Holy Quran, Exegetes, Corrupt Interpretation, Interpretation by Opinion, Arabic Language.

مقدمة:

مِن المسلَّم به أنَّ مصدر التلقي الأوَّل هو كتَّاب اللَّه ﷻ الَّذي أنزله نوراً وهدىً للنَّاس، فهو أَوْلَى ما تفنى فيه الأعمار، وتُستخرج منه الحِكَم والأفكار، "فإن من أدرك علم أحكام اللَّه في كتابه نصّاً واستدلالاً، ووفَّقه اللَّه للقول والعمل بما علِم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرّيَب، ونَوَّرت في قلبه الحكمة ، واستوجب في الدّين موضع الإمامة"(١)؛ لذا هيَّأ اللَّه له العلماء الراسخين الذين ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وكانت هذه الثُّلَّة من علماء الأمَّة منذ الرَّعيل الأوَّل المبارك من صحابة رسول اللَّه ﷺ إلى هذا العصر قد سارت على منهجية مرضيَّة وضوابط مرعيَّة لفهم كتَّاب اللَّه ﷻ، حرصاً على ألا يتعرَّض المتلاعبون لكتاب اللَّه تعالى، وقد وضح بالإمام

(١) الرسالة، للإمام الشافعي(١٩/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ابن كثير في مقدَّمة تفسيره الطَّريقة المثلى المتَّبعة في فهم كتَّاب الله قائلاً: "إنَّ أصحّ الطُّرق في ذلك أنَّ يفسِّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنَّه قد فسَّر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسُّنَّةِ فإنَّها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ، إذا لم نجد التَّفسير في القرآن ولا في السُّنَّةِ ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصَّحابة ، فإنَّهم أدرى بذلك، لمَّا شاهدوا من القرائن والأحوال الَّتي اختصُّوا بها، ولمّا لهم من الفهم التَّامّ، والعلم الصَّحيح، والعمل الصَّالح، لا سيَّما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمَّة الأربعة والخلفاء الرَّاشدين، والأئمَّة المهديّين، وعبد الله بن مسعود، ٪، إذا لم تجد التَّفسير في القرآن ولا في السُّنَّةِ ولا وجدته عن الصَّحابة ، فقد رجع كثير من الأئمَّة في ذلك إلى أقوال التَّابعين"(٢).

وقبل تلك القواعد؛ اتَّفق علماء التَّفسير قديما وحديثا على أنَّ الإلمام بلغة العرب وعدم الخروج عن تراكيبها، أداة مهمَّة من أدوات هذا العلم؛ حتَّى روي عن الإمام مالك قوَّله: "أَلَا أُوتَى بِرَجُلٍ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ يُفَسِّرُ ذَلِكَ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالاً"(٣).

ولذلك أيّ وجه تفسيريّ على غيَّر لغة العرب -لإفادة المعاني المستنبطة -لا يجوز استعماله فيها؛ لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب، والأسماء وضعت للدَّلالة على مسمَّياتها، فاستعمال التَّأويل بلا دليل ولا برهان؛ مناكفة للنَّصِّ ومغالبة للمراد منه، وفِي ذلك فساد عظيم؛ ومن جيّد النقول كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول: "فإن الله أنزل كتابه باللّسان العربي، وبعث به نبيه العربي، وجعل الأمة العربية خير الأمم، فصار حفظ شعارهم مِن تمام حفظ الإسلام. فكيف بمن تقدّم على الكلام العربي -مفرده ومنظومه- فيُغيّره ويبدّله ويخرجه عن قانونه ويكلف الانتقال عنه، إنما هذا نظير ما يفعله بعض أهل الضلال مِن الشيوخ الجهال؛ حيث يصمدون إلى الرجل العاقل فيُؤلِّهونه ويُخنّثونه؛ فإنَّهم ضادّوا الرسول؛ إذ بُعِث بإصلاح العقول والأديان، وتكميل نوع الإنسان، وحرّم ما يُغيّر العقل مِن جميع الألوان. فإذا جاء هؤلاء إلى صحيح العقل؛ فأفسدوا عقله وفهمه، وقد ضادّوا الله وراغموا حُكْمه. والذين يُبدّلون اللِّسان العربي ويفسدونه لهم من هذا الذم والعقاب بقدر ما يفتحونه؛ فإنّ صلاح العقل واللّسان مما يُؤمر به الإنسان. ويُعين ذلك على تمام الإيمان، وضد ذلك يُوجِب الشِّقاق والضّلال والخسران"(٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٧-١٠).
(٣) شعب الإيمان، للإمام البيهقي (٣/٥٤٣) (رقم:٢٠٩٠).
(٤) مجموع الفتاوي (٣٢/٢٥٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ويقول أيضًا: "إنّ نَفْس اللغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسُّنّة فرض، ولا يُفْهَم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"(٥).

ومما لا شكَ فيه أنَّ الباطنيَّة خالفت تلك القواعد، وسارت على منهجية منحرفة ؛ لكي تستطيع أنَّ تُخلي الطَّريق لأقوالها الباطلة ، وهذّا الإفراط في التَّأويل والبحث عن الباطن الوهميّ أفضى إلى وقوع كثير من الفتن في تاريخ الأمَّة. وفي الآثار الفاسدة للتأويل الفاسد يقول الإمام ابن القيّم : "وهل وقعت في الأمَّة فتنة كبيرة أو صغيرة إلَّا بالتَّأويل! فمن بابه دخل إليها، وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلَّا بالتَّأويل"(٦). ومن النماذج على هذا المنهج عند الباطنية قول النُّعمان الفاطمي الباطنيّ(٧): "إنَّه لا بدّ لكلِّ محسوس من ظاهر وباطن، فظاهر ما تقع الحواسّ عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنَّه فيه، وظاهره مشتمل عليه وهو زوَّجه وقرينه. قال اللَّه عزّ من قائل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الذَّاريات:٤٩" (٨). ثمَّ أكمل محاولا توضيح استدلاله قائلاً: "وقد ذكر اللَّه سبحانه الباطن في مواضع كثيرة من كتابه فقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَة وَبَاطِنَةً﴾ لقمان:٢٠"(٩). واستطرد -بعد ذكره عدد آخر من الآيات-مستدلاً بالسُّنّة النَّبَوِيَّةِ : " وقال رسول اللَّه ‘: "ما نزلت عليّ من القرآن آية إلَّا ولها ظهر وبطن"، وقد ذكرنا في كتَّاب "حدود المعرفة " إجماع الأمَّة على صحَّة هذا الخبر، وفساد تأويل من تأوَّله على غيَّر الصَّواب فيه. وذكرنا ما أقرُّوا به من الباطن لمَّا لم يجدوا محيصاً دون الإقرار به، ولزمهم ذلك لضرورة فيه؛ إذ لم يجدوا مخرجاً منه نظير الماء"(١٠).

ثمَّ ختم كلامه هذا بالرُّؤية الباطنيَّة العامَّة -عندهم- للقرآن بعد أن استدلَّ -مغالبا النَّصِّ- على أنَّ للقرآن ظاهرًا وباطنًا؛ حيث قال: "فجعل ظاهره معجزة رسوله، وباطنه معجزة الأئمَّة من أهل بيته، لا يوجد إلَّا عندهم، ولا يستطيع أحد أنَّ يأتي بظاهر الكتاب غيَّر محمَّد رسول اللَّه ‘ جدِّهم، ولا أنَّ يأتي بباطنه غيَّر الأئمَّة من ذرِّيَّتُه، وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم، يخاطبون كلّ قوم منه بمقدار ما يفهمون،

---

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية (٥٢٧/١).
(٦) انظر: أعلام الموقعين، للإمام ابن القيم (٣٥٠/٤).
(٧) هو النعمان بن محمد، القاضي أبو حنيفة، أشهر فقهاء الإسماعيليين، ومؤسس الفقه الإسماعيلي، ولد ٢٩٠ه بالقيروان، ترقى حتى صار قاضي قضاة الدولة الفاطمية، له أكثر من أربعين مؤلفًا تعد كلها أصول؛ كدعائم الإسلام، وأساس التأويل، وحدود المعرفة، توفي بالقاهرة ٣٦٣ه. انظر ترجمته: معجم التاريخ الإسماعيلي، فرهاد دفتري (ص:٢٨٠).
(٨) أساس التأويل، للداعي الإسماعيلي النعمان بن حيون التميمي (ص:٢٨).
(٩) المصدر السابق (ص:٢٩).
(١٠) المصدر السابق (ص:٣٠).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ويعطون كلّ أهل حدٍّ منه ما يستحقُّون، ويمنعون منه من يجب منعه، ويدفعون عنه من استحقَّ دفعه"[١١]،والكلام بيّن في استئثار من يرونهم من الأئمَّة بمعرفة الباطن؛ حتَّى عن رسول الله ‘، وقد حرصوا على زعم ارتباط دعوتهم بالقرآن، ويضيفون إلى ذلك تظاهرهم بمحبَّة آل البيت وموالاتهم،[١٢] ولذا يؤكِّدون هذا المعنى في الأئمَّة أنَّهم "الَّذين أودعهم الله سرَّه المكنون، ودينه المخزون، وكشف لهم بواطن هذه الظَّواهر، وأسرار هذه الأمَّة ، وأن الرُّشد والنَّجاة من الضَّلال؛ بالرُّجوع إلى القرآن، وأهلّ البيت"[١٣] ويقولون: "كلّ من خالف دعوة الأساس الباطنة، وأقام على الظَّاهر بغير الباطن؛ فهو في ظاهر العذاب"[١٤]، بل يذهب الدَّاعي جعفر بن منصور اليمن[١٥] إلى أكثر من ذلك حيث يؤكِّد على زعمه تحريف القرآن جملة بعد غياب رسول الله ‘ فيقول: "ملعون ملعون من خالفه، ملعون من ردَ قوليّ. فلمَّا غاب؛ تركوا قوَّله، وألّفوا كتاباً، واستغنوا عن كتَّاب ربِّهم بما جمعوا بآرائهم وقياسهم، وكفّر بعضهم بعضاً، وألّف عثمان تأليف آخر، وأحرق ما ألّفه أبو بكر وعمَّر، ثمَّ جاء الحجَّاج فأحرق ما ألّف عثمان، وجمع هذا الكتاب الَّذي في أيديهم بعد أنَّ أسقط منه ما أراد"[١٦].

وبعد هذا البيان لهذا الجانب في عقيدة الباطنيَّة ، وزعمهم تحريف القرآن، سأورد كلام صاحب رسالة الدستور الَّذي يؤكِّد فيه على معنى الباطن، ثمَّ يُفصِّل في ذلك بلا دليل، زاعماً أنَّ اللَّفظ القرآنيّ ليس إلهي، وإنَّما النَّبِيَّ ‘ يُعان على تأليفه وتصنيفه فيقول :"وأعترف أنَّ لا ظاهر إلَّا وله باطن، ولا صورة إلَّا ولها معنى كامل، ولا قشر إلَّا وله لبٍّ، ولا مدينة إلَّا ولها باب، ولا نور إلَّا وله حجاب، ولا شريعة إلَّا ولها طريقة ، ولا طريقة إلَّا ولها حقيقة ، ولا حقيقة إلَّا ولها تنزيل، ولا تنزيل إلَّا وله تأويل إلى العلماء الرَّاسخين، ولا راسخ في العلم إلَّا للتأويلين ..." ثمَّ يرمي لمعنى أنَّ القرآن أقرب إلى الإلهام القلبيّ، والنَّبِيَّ يُعان على تأليفه وتصنيفه نطقاً فيقول: "وأمَّا الصَّحيفة والكتاب وتبيان جزيل الخطَّاب؛ فهو اتِّصال التَّأييد من السَّابق إلى النَّاطق، وهدايته إلى التَّأليف وإعانته على التَّصنيف"[١٧].

---

(١١) المصدر السابق (ص:٣١-٣٢).
(١٢) وهذا من أسباب تصنيفهم من فرق الرافضة عند بعض علماء الفرق، وإلافهم على غير وئام معهم.
(١٣) الفرق بين الفرق، للبغدادي، (ص٢٨٢) وما بعدها.
(١٤) أساس التأويل، مرجع سابق (ص ٣٣).
(١٥) هو جعفر بن منصور اليمن ، مؤلف من أوائل دعاة الإسماعيلية، كان ابنًا لحوشب، الذي اشتهر باسم منصور اليمن، مؤسس الدعوة الإسماعيلية في اليمن، تهتم معظم أعماله بالتفسير الباطني للقرآن، له عدد من المؤلفات؛ ككتاب الكشف، تاريخ ميلاده ووفاته مجهولين لكن وفاته ليست بعد سنة ٣٤٦ه. انظر ترجمته: معجم التاريخ الإسماعيلي، فرهاد دفتري (ص:١١٥).
(١٦) سرائر وأسرار النُّطقاء، لجعفر بن منصور اليمن، (ص:١٧٤).
(١٧) رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، للداعي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

"وبالرغم من أنَّ الباطنيَّة قد اتَّخذوا من تأويل القرآن -والَّذي هو أصل التَّشريع الأوَّل- باباً للوصول إلى أغراضهم، فإنَّا لم نقف لهم على كتب مستقلَّة في تفسير كتَّاب اللَّه تعالى، ولم نسمع أنَّ واحداً منهم كتب تفسيراً جامعاً للقرآن كلّه، سورة سورة، وآية آية، ولعلّ المانع لهم: أنَّهم لم يستطيعوا أن يتماشوا بعقائدهم مع القرآن آية آية ، ولو أنَّهم حاولوا ذلك لظهرت لهم عقبات وصعاب لا يستطيعون تذليلها، ولا يقدرون على الخلاص من لوازمها، وعامَّة ما لهم – في تفسير القرآن أو تأويله على الأصحّ - أقوال متفرّقة في بطون الكتب، تعطي صورة واضحة عن موقفهم من القرآن الكريم، ومدى جرأتهم على القول فيه بغير علم ولا هُدىً ولا كتَّاب منير، وتتجلَّى حقيقة مذهبهم فيما كتبه عبيد اللَّه بن الحسن القيروانيّ إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنانى رسالة طويلة جاء فيها: .. وإني أوصيك بتشكيك النَّاس في القرآن والتَّوراة والزَّبور والإنجيل، وتدعوهم إلى إبطال الشَّرائع، وإلى إبطال المعاد والنُّشور من القبور، وإبطال الملائكة في السَّماء، وإبطال الجنّ في الأرض، وأوصيك أنَّ تدعوهم إلى القول بأنَّه قد كان قبل آدم بشر كثير، فإن ذلك عون لك على القول بقِدَم العالَم" (١٨).

نماذج من التأويلات الباطنية للقرآن الكريم:

- قوَّله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الفاتحة:٦، المراد منها: "الإمام"(١٩).
- قوَّله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ الحجر:٨٧، يعني: "الأئمَّة السَّبعة"(٢٠).
- قوَّله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ البقرة:١٨٥، يعني: "فمن أدرك زمانه فليلزم الصَّمت من حدِّه ولا يظهره"(٢١).
- قوَّله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ البقرة:١٨٥، يعني: "يريد اللَّه بكم بإقامة الخلفاء بعد غيبته إنَّ يسرّ لكم العسر"(٢٢).
- قوَّله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّة ﴾ البقرة:١٨٥، يعني: "ولتكملوا أعدتهم مساوية لعدد الأئمَّة"(٢٣).
- قوَّله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ قال: "وهو الإمام في كلّ زمان، يقوم بالمقام، وينوب بالمناب، ويسدّ بالمسد، ويكون من ذرّيَّة

الطيبي، حققها: عارف تامر، (ص:٩٢-٩٣).

(١٨) انظر: التفسير والمفسرون، للدكتور محمد حسين الذهبي (١٧٧/٢-١٧٨).

(١٩) أساس التأويل (ص:٦١).

(٢٠) المصدر السابق (ص:٣٣٣).

(٢١) الافتخار، للداعي الباطني أبي يعقوب السجستاني، (ص:١٢٧).

(٢٢) المصدر السابق (ص:١٢٧).

(٢٣) المصدر السابق (ص:١٢٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الأساس"[٢٤]. ومِنْ خلال ذلك يتبيَّن لنا خطورة مذهبهم والَّذي هو تحريف وتعطيل للديانة والعقيدة.

وَمِنْ ذرائعهم المزعومة على معتقدهم الباطل استدلالاتهم الفاسدة، ومن ذلك: قوَّله تعالى:{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [سورة البقرة :١٢٩]. فيقولون: إنَّ المراد بالحكمة في هذه الآيات: "هو باطن الكتاب وتأويله، وهو أحد جزئيّ الكتاب، والجزء الثَّاني ظاهر الكتاب، وهو تنزيله فباطنه التَّأويل، وظاهره التَّنزيل"[٢٥]

وفي موازاة ذلك يحذرون من تفاسير السلف رحمهم الله كونها تفضح باطلهم، يقول أحد الباطنية: "فلا يبقى شكَ عند من لا يريد أنَّ يغرِّر بنفسه أنَّ تلك التَّفاسير على ضخامتها وتطويلاتها وشقوقها وتفننها في أساليب البيان؛ بعيدة عن المقاصد الأصليَّة ، زائغة عن الحقائق المودعة في الكتب الإلاهية ، مُبعدة الأمم عن الموهبة الأخيرة الكبرى، والمنحة الجليلة الخطيرة العظمى الَّتي صرَّح ونادى بها الأنبياء في البشارات النَّبَوِيَّةِ ، وتضمنته وحفظتها جميع الصُّحف القديمة السَّمَاوِيَّةِ ، ويكفي في إثبات شدَّة غموض تلك المعاني؛ أيّ: الأخبار الواردة عن الأمور الآتية ؛ أنَّه مع اشتمال الكتب على جميع جزئيَّاتها، وكلِّيَّاتِهَا، وميعادها، وميقاتها؛ أنكرتها الأمم، وجهلها أهل العالم؛ إلَّا من خصَّهم الله بنور اليقظة ، وأيقظهم بروح النَّباهة وهم قليلون معدودون، بل كما قال الإمام –يقصد البهاء-هم متروكون مطرودون"[٢٦]

وبمكن إجمال موقفهم من القرآن الكريم فيما يلي:

- زعمهم أنَّ للقرآن وجهين؛ ظاهر، وباطن.
- زعمهم أنَّ الظَّاهر واجهة غير مؤثِّرة؛ وإنّ الرَّسول يُعبِّر عنه بلفظه، ويُعَان على تأليف وتصنيفه، فاللَّفظ -في زعمهم- ليس منزلاً ولا إلهيّاً.
- زعمهم أنَّ معرفة الباطن هي بوَّابة النَّجاة، وأن اتباع الإمام أو الأساس هو الضَّمانة الوحيدة للنَّعيم.
- زعمهم أنَّ الرَّسول ' لا علم عنده بباطن كتَّاب اللَّه؛ أي: تفسيره وتأويله.
- زعمهم أن ظواهر القرآن الكريم محرَّفة.

ردود المفسِّرين على الدَّعاوى الباطنيَّة:

إن معتقد الباطنية في القرآن الكريم لا يقوم على أساس معرفي ولا على منهج موضوعي، ولا يقيم لأصول التلقي ومنهج الاستدلال وزنًا، يقول ابن حزم في

(٢٤) رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس، للداعي شهاب الدين أبي فراس، تحقيق: عارف تامر (ص:٤٣).
(٢٥) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار، ليحيى بن حمزة العلوي(ص١١٥).
(٢٦) الدرر البهية في جواب الأسئلة الهندية، لأبي الفضل الإيراني،(ص١١٧).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

استدلالهم بالسُّنّة: "هذه كلها مرسلات[٢٧] لا تقوم بها حجَّة أصلاً، ولو صحَّت لمَّا كان لهم في شيء منها حجَّة بوجه من الوجوه؛ لأنَّه لو كان كما ذكروا لكلِّ آية ظهر وبطن لكُنَّا لا سبيل لنا إلى علم الباطن منها بظنٍّ ولا بقول قائل، لكن ببيان النَّبِيَّ ‘ الَّذي أمره الله تعالى بأنَّ يبيّن للنَّاس ما نزل إليهم، ومنّ الباطل المحال أنَّ يكون للآية باطن لا يبيّنه النَّبِيَّ ‘؛ لأنَّه كان يكون حينئذ لم يبلِّغ كما أُمِر، وهذّا لا يقوله مسلم، فبطل ما ظنُّوه. وقد أتت الأحاديث الصِّحاح بحمل كلّ كلام على ظاهره"[٢٨].

ويحلِّل الإمام البغويّ الاستدلال بالحديث مبيناً المراد بمعنى الباطن على أربعة أوجه، فيقول: "قوَّله: (لكلّ آية ظهر وبطن) فقد اختلفوا في تأويله، فيروى عن الحسن أنَّه سئل عن ذلك، فقال: إنَّ العرب تقول: قلبت أمري ظُهْراً لبطن. ويقال: الظَّهر لفظ، والبطن تأويله، وقيل الظَّهر: ما حدث فيه عن أقوام أنَّهم عصوا فعوقبوا واهلكوا بمعاصيهم، فهو في الظَّاهر خبر، وباطنه عظة وتحذير أنَّ يفعل أحد مثل ما فعلوا، فيحلّ به ما حلّ بهم، وقيل: ظاهره تنزيله الَّذي يجب الإيمان به، وباطنه وجوب العمل به، وما من آية إلَّا وتوجب الأمرين جميعاً؛ لأنَّ وجوه القرآن أمر ونهي ووعد ووعيد ومواعظ وأمثال، وخبر ما كان وما يكون، وكل وجه منها يجب الإيمان به، والتَّصديق له، والعمل به، فالعمل بالأمر إتيانه، وبالنَّهي الاجتناب عنه، وبالوعد الرَّغبة فيه، وبالوعيد الرَّهبة عنه، وبالمواعظ الاتِّعاظ، وبالأمثال الاعتبار. وقيل معنى الظُّهر والبطن: التِّلاوة والتَّفَهُّم، كأنه يقول: لكلِّ آية ظاهر، وهو أنَّ يقرأها كما أنزلت، وباطن: وهو التَّدَبُّرِ والتَّفَكُّر"[٢٩].

وفيما يتعلق بشرط معرفة قوانين العربية في تفسير القرآن الكريم، يقول الإمام الزركشي: "إنَّ القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلَّة ، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كلِّيَّاتِ المعلومات العقليَّة والسَّمْعِيَّة إلَّا وكتاب الله تعالى قد تعلَّق به، ولكن أورده تعالى على عادة العرب، دون دقائق طرق أحكام المتكلِّمين لأمرين: أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ إبراهيم:٤، والثاني: أنَّ المائل إلى دقيق المحاجَّة ؛ هو العاجز عن إقامة الحجَّة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أنَّ يُفهم بالأوضح الَّذي يفهمه الأكثرون لم يتخطَّ إلى الأغمض الَّذي لا يعرفه إلَّا الأقلُّون، ولم يكن ملغزاً، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجَّة خلقه في أجلّ صورة تشتمل على أدقّ دقيق؛ لتفهم العامَّة من جليلها ما يقنعهم، ويُلزمهم الحجَّة ، وتفهم الخواصّ من أثنائها ما يوفّى على ما

(٢٧) المرسلات: جمع مرسل، وهو قسم من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين. انظر: نزهة النظر، لأبن جر العسقلاني (ص:٨٢).
(٢٨) الإحكام في أصول الأحكام؛ لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، (١٦/٣-١٧).
(٢٩) شرح السنة ، للبغوي، (٢٦٣/١-٢٦٤).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أدركه فهم الخطباء، وعلى هذا حُمِل الحديث المرويّ: "إنَّ لكلِّ آية ظهراً وبطناً، ولكلّ حرف حدّاً ومطلعاً"[٣٠]، لا على ما ذهب إليه الباطنيَّة "[٣١].

والحقيقة أنَّ كثيرًا من المفسِّرين لم يتركوا موضعاً ظهر فيه كلام لأهل الباطن المزعوم إلَّا ردّوا عليهم فيه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما، عند قوَّله تعالى: "﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ قال ابن عبَّاس: هو أنَّ يوضع الكلام على غيَّر مواضعه. ففيه الرَّدِّ على من فسَّر القرآن بما لا يدلّ عليه جوهر اللَّفظ، كما يفعله الباطنيَّة، والاتِّحَادِيَّة، والملاحدة، وغلاة المتصوِّفة [٣٢]، ويُفسِّر ابن عجيبة الصُّوفِيّ هذه الآية مضمَّنا إبطال دعوى الباطنيَّة في اختصاص الأئمَّة بعلم من العلوم فيقول في تفسيره: "﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ﴾؛ أيّ: أعلمتكم ما أُمرت به، أو بمحاربتي لكم ومخالفتي لدينكم، لتكونوا ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾، أو كائنين على سواء في الإعلام به، لم أطوه عن أحد منكم، أو مستوين أنَّا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به من الشَّرائع، لم أظهر بعضكم على شيء كتمته عن غيره. وفيه دليل بطلان مذهب الباطنية. قيل: وهذه من فصاحة القرآن وبلاغته"[٣٣].

وقال أبو منصور الماتريدي: "تقول الباطنيَّة : إنَّ القرآن لم ينزل على رسول اللَّه ، بالأحرف الَّتي نقرؤها، ولكنه إلهام، نزل على قلبه، ثمَّ هو يصوِّره ويرسمه، ويعبِّر به، ويعربه بالمعربة الَّتي نقرؤها، فلو كان على ما يقولون لزال موضع الاحتجاج عليهم بما أتى به معجزاً؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النَّحل:١٠٣، إذ كان لهم أن يقولوا: أنزل على لسان العجميّ، لكنَّه غيّر ذلك بلسانه، وكذلك قوَّله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ القيامة :١٦، مخافة النِّسيان والذَّهاب، وكذلك قوَّله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ طه:١١٤؛ فدلَّت هذه الآيات كلها على بطلان قولهم، وفساد مذهبهم، وبُعدهم عن دين اللَّه المستقيم"[٣٤].

وفي موضع آخر قال: "وزعمت الباطنيَّة أنَّ القول الثَّقيل هو أنَّ كلفَ النَّاطق - وهو الرَّسول ، بتفويض الأمر إلى الأساس، وهو الباب، وذلك الأساس والباب هو

---

(٣٠) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، (٨٠/٩)،حديث (رقم:٥١٤٩) بلفظ:"وَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ"، وكذا أخرجه البزار في مسنده (رقم:٢٣١٢)، وابن حبان في صحيحه (رقم:٧٥)، والطبراني في الكبير (رقم:١٠٠٩٠)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رجال أبي يعلى ثقات. انظر: مجمع الزوائد، للهيثمي (١٥٢/٧).

(٣١) البرهان في علوم القرآن، للإمام الزركشي (٢٤/٢-٢٥).

(٣٢) الإكليل في استنباط التنزيل، للإمام السيوطي (ص:٢٢٨-٢٢٩).

(٣٣) البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد، لابن عجيبة (٥٠٦/٣).

(٣٤) تفسير الماتريدي (٥١٧/١-٥١٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه -عندهم، وهم يسمُّون الرَّسول صل الله عليه وسلم : ناطقاً، ويقولون بأنَّ رسول اللَّه -' -كان مأموراً بتبليغ التَّنزيل إلى الخلق؛ فلمَّا بلغ التَّنزيل إليهم، واستغنوا عنه، احتاجوا إلى من يعلِّمهم التَّأويل؛ فأمر رسول اللَّه -' -بأنَّ يسند أمر التَّأويل إلى عليّ بن أبي طالب -¢ -ليكون هو الَّذي يتولَّى تعليم الخلق تأويله؛ فذلك هو القول الثَّقيل؛ إذ أمر أنَّ يستند إلى غيره؛ فاشتدَّ عليه إذ صار غيره وليّ الأمر، وبقيّ هو ساكناً لا ينطق"[٣٥].

وقال الإمام أبو حامد الغزالي: "وأمَّا الطَّامَّات -فيدخلها ما ذكرناه في الشَّطح وأمَّر آخر يخصُّها-: وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة ؛ كدأب الباطنيَّة في التَّأويلات، فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم. فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشَّرع ومنٍّ غيَّر ضرورة تدعو إليه من دليل العقل؛ اقتضى ذلك بطلان الثِّقة بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام اللَّه تعالى، وكلام رسوله '. فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثَّق به، والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر، ويمكَّن تنزيله على وجوه شتَّى؛ وهذّا أيضاً من البدع الشَّائعة العظيمة الضَّرر، وإنَّما قصد أصحابها الإغراب؛ لأنَّ النُّفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له، وبهذا الطَّريق توصَّل الباطنيَّة إلى هدم جميع الشَّريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم. كما حكيناه من مذاهبهم في كتَّاب المستظهر المصنِّف في الرَّدِّ على الباطنيَّة ، ومثال تأويل أهل الطَّامَّات قول بعضهم في تأويل قوَّله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ طه:٢٤، أنَّه إشارة إلى قلبه، وقال: هو المراد بفرعون، وهو الطَّاغي على كلّ إنسان"[٣٦].

وقال الإمام ابن عطيه: "وذهب قوم من الملحدين إلى أنَّ هذه الأشياء المذكورة استعارات في كلّ ابن آدم وأحواله عند موته، والشَّمس نفسه، والنُّجوم عيناه وحواسِّه، والعشَّار ساقاه، وهذّا قول سوء وَخِيم غَثّ ذَاهب إلى إثبات الرُّموز في كتَّاب اللَّه تعالى"[٣٧]، وقال الإمام أبو حيان: "وهذّا مذهب الباطنية ، ومذاهب من ينتمي إلى الإسلام من غلاة الصُّوفِيَّةِ ، وقد أشرنا إليهم في خطبة هذا الكتاب وإنَّما هؤلاء زنادقة تستروا بالانتماء إلى ملَّة الإسلام. وكتاب اللَّه جاء بلسان عربيّ مبين، لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن، ولا إيماء لشيء ممَّا تنتحله الفلاسفة ولا أهل الطَّبائع"[٣٨].

وقال الفخر الرازي في عرض شبهاتهم والرد عليهم: "ومنِّه قوَّله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ المائدة :٦٤؛ أيّ: هو بخيل، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة :٦٤؛ أيّ: هو جواد من غيَّر تصوُّر يد ولا غلّ ولا بسط، والتَّفسير

(٣٥) المرجع السابق (١٠/٢٧٠-٢٧١).
(٣٦) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي (١/٣٧).
(٣٧) المحرر الوجيز في تفسي الكتاب العزيز، لابن عطيه الأندلسي(٥/٤٤٢).
(٣٨) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (١٠/٤١٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

بالنِّعمة والتَّمَحُّل بالتَّسمية من ضيق العطن. وأقول: إنَّا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت تأويلات الباطنية ، فإنَّهم أيضاً يقولون المراد من قوَّله: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾طه:١٢، الاستغراق في خدمة اللَّه تعالى من غيَّر تصوُّر فعل، وقوله: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ابراهيم:٦٩، المراد منه: تخليص إبراهيم ' من يد ذلك الظَّالم من غيَّر أنَّ يكون هناك نار وخطاب البتَّة ، وكذا القول في كلّ ما وردّ في كتَّاب اللَّه تعالى، بل القانون: أنَّه يجب حمل كلّ لفظ وردّ في القرآن على حقيقته، إلَّا إذا قامت دلالة عقليَّة قطعيَّة توجب الانصراف عنه، وليت من لم يعرف شيئاً لم يخض فيه"[٣٩].

وقد ذكر الطِّيبِيّ شيئاً من علامات أهل البدع في التَّفسير وهو استدلالهم ببعض المجملات فقال مستطرداً: "أنَّ المبتدع إذا جاء بمجمل في المتشابه على وفق بدعته، فأصاب رأيه-لأنَّ محامل المتشابه كثيرة -فإنَّه مخطئ في التَّأويل؛ حيث لم يردُّه إلى المحكم، أو إلى ما كان عليه السَّلف الصَّالح، وأن الجاهل إذا قال في قوَّله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ... ﴾ الإسراء:٥٩، النَّاقة لم تكن عمياء، لا يعلم أنَّ المراد بها: آية مبصرة "[٤٠].

ويردّ أبو حيَّان على الباطنية -مبطلاً دعواهم أنَّ القرآن إلهام- عند قوَّله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ البقرة :٩٧، ويقول: " وهذه الآية تعلَّقت بها الباطنية، وقالوا: إنَّ القرآن إلهام والحروف عبارة الرَّسول. وردّ عليهم: بأنَّه معجزة ظاهرة بنظمه، وأن اللَّه سمَّاه وحياً وكتاباً وعربيا، وأن جبريل نزل به، والملهم لا يحتاج إلى جبريل"[٤١].

ويؤكد معهم الإمام ابن عادل النظرة الفاسدة للباطنية للقرآن والشريعة بأسرها قائلاً: "والباطنيَّة هم الملاحدة ، وهم يحرّفون كلام اللَّه تعالى ورسوله عن مواضعه، ومقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام، ويظهرون لهذه الأمور حقائق يعرفونها، فيقولون: إنَّ الصَّلوات الخمس معرفة أسرارهم، والصِّيام المفروض من كتمان أسرارهم، وحجّ البيت زيارة شيوخهم، ويداً أبي لهب أبو بكر وعمَّر، والبناء العظيم والإمام المبين عليّ بن أبي طالب، فهم لا تحلّ ذبائحهم لا يناكحونا، وتجب مجاهدتهم؛ لأنَّهم مرتدُّون"[٤٢].

(٣٩) مفاتيح الغيب=التفسير الكبير، للإمام الرازي (١٠/٢٢).
(٤٠) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية على الكشاف)، للإمام الطيبي (٦٥٣/١).
(٤١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (٥١٥/١).
(٤٢) اللباب في تفسير الكتاب، لابن عادل الحنبلي (٣٩٩/١٠-٤٠٠).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وَمِنْ نماذج ردود المفسرين على الباطنية في العصر الحديث ما كتبه الشيخ محمد رشيد رضا في الرد على طوائف الباطنيَّة كالبهائيَّة [٤٣] والقاديانية [٤٤]؛ إذ يقول: "تمسَّكت الباطنيَّة في دعواهم إذ قالوا: إنَّ أحداً لم يفهم القرآن في زمن التَّنزيل ولا بعده، وإنَّ اللَّه وعدّ بتأويله فلا بدّ من انتظار من يبعثه اللَّه تعالى بهذا التَّأويل، والبابية - وهم آخر فرقة ظهرت من الباطنيَّة -تَدّعي أنَّ الباب هو ذلك الموعود به، والبهائية منهم يقولون: بل هو البهاء، وقد سمعت من دعاتهم من يحتج بقوله -تعالى -: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ الأعراف:٥٣، وقد ذكرت آنفاً، فقلت له تأويله ما وعدّ به كقوله: ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾ محمَّد:١٨، وقوله: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾ يس:٤٩، فهذا وأمثاله هو تأويله، والقرآن كلّه مفهوم إنَّ اشتبه منه شيء على بعض النَّاس علمه غيرهم"[٤٥]ثمَّ عقب بعد ذلك مبيناً أنَّ تحريف القرآن هو ديدن الباطنيَّة القاديانية الَّذين عاصرهم وأوضح جزءاً من طريقة مؤسسها لإضلال العامَّة قائلاً: " كان هذا الرَّجل يستدلّ بموت المسيح ورفع روحه إلى السَّماء كما رفعت أرواح الأنبياء، على أنَّه هو المسيح الموعود به، ولا يزال أتباعه يستدلُّون بذلك. وقد جرى على طريقة أدعياء المهدوية من شيعة إيران (كالباب والبهاء) في استنباط الدَّلائل الوهميَّة على دعوته من القرآن حتَّى إنَّه استخرج ذلك من سورة الفاتحة ، وله في تفسيرها كتَّاب في غاية السُّخف يدَّعي أنَّه معجزة له، فجعلها مبشرة بظهوره، وبأنه هو مسيح هذه الأمَّة . وإنَّما فتح على هذه الأمَّة هذا

---

(٤٣) البهائية أو البابية أسسها علي محمد رضا الشيرازي وهي حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية وهي من الفرق الضالة الخارجة عن الإسلام والمحكوم بكفرهم بحكم إنكارهم أن رسول الله ﷺ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وادعائهم بأن روح الله حلت في الباب أو البهاء، وإنكارهم للعقوبات الإلهية، وأن كتابهم البيان قد نسخ القرآن الكريم ، وموالاتهم المستمرة لليهود. انظر: البهائية في الواقع المعاصر، الباحث/ عمر المام باجي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم-جامعة المنيا (ص:٣٠٥٥-٣٠٧٩)، ويمكن الرجوع لمزيد من التفاصيل: البهائية (نقد وتحليل)، إحسان إلهي ظهير.

(٤٤) القاديانية حركة فكرية حديثة العهد نشأت في الهند سنة ١٩٠٠م/١٣١٩ه أسسها غلام أحمد القادياني بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي المحتل للهند أنذاك، بهدف تفريق المسلمين عن بعضهم البعض وعن دينهم، فخرج بدعوة ضالة ينقض بها أصول الإسلام، فزعم أن الوحي لم ينقطع، وأنه المهدي المنتظر ومجدد زمانه، وأنه مرسل بكتاب مقدس يدعى كتاب التذكرة؛ لإلغاء الجهاد، فينبغي تحذير المسلمين من نشاطهم، بعد أن أفتى علماء الإسلام بكفرهم. انظر: الأحمدية القاديانية والأحمدية اللاهورية (التعريف والنشأة والتطور)، دكتور/ عيد عايد العازمي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم-جامعة المنيا (ص:٤١٥-٤٦٧)، ويمكن الرجوع لمزيد من التفاصيل: القاديانية (دراسة وتحليل)، إحسان إلهي ظهير، والقاديانية وموقف الإسلام منها، سامية جمال محمد علي، رسالة ماجيستير، كلية الشريع والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٢ه.

(٤٥) تفسير المنار (٣/١٤٤-١٤٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الباب الغريب من أبواب تأويل القرآن وتحريف ألفاظه عن المعاني الَّتي وضعت لها إلى معان غريبة لا تشبهها ولا تناسبها -أولئك الزَّنادقة من المجوس وأعوانهم الَّذين وضعوا تعاليم فرَّق الباطنية ، فراجت حتَّى عند كثير من الصُّوفِيَّةِ ، ولمن يستدلّ بالكلم على ما لا يدلّ عليه في استعمال لغته أنَّ يستدلّ بما شاء على ما شاء، وهو يجد من جاهليّ اللُّغة وفاقدي الاستقلال العقليّ من يقبل منه كلّ دعوى"(٤٦).

وقال الزرقاني: "الباطنية قوم رفضوا الأخذ بظاهر القرآن وقالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه دون ظاهره ويستدلُّون بقوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ الحديد:١٣، ثمَّ قال: "ومذهب الباطنيَّة على عمومه وباء انتقل إليهم بطريق العدويّ من المجوس ومنّ تأويلاتهم الفاسدة في القرآن أنَّهم يقولون في تفسير قوَّله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ النَّمل:١٦، إنَّ الإمام عليّاً ورث النَّبِيَّ في علمه، ويقولون معنى الجنابة أنَّها مبادرة المستجيب بإفشاء السِّرّ قبل أنَّ ينال رتبة الاستحقاق ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ومعنى الطَّهارة التَّبَرّي من اعتقاد كلّ مذهب سوى متابعة الإمام ومعنى التَّيَمُّمِ الأخذ من المأذون إلى أنَّ يشاهد الدَّاعي الإمام ومعنى الصِّيام الإمساك عن كشف السِّرّ. ويقولون إنَّ الكعبة هي النَّبِيَّ ' والباب عليّ والصَّفا هو النَّبِيَّ ' والمروة عليّ ونار إبراهيم هي غصب النمروذ عليه وعصا موسى هي حجَّته إلى غيَّر ذلك من الخرافات الَّتي لا يقبلها عقل ولا يؤيّدها نقل.

ثمَّ أردف قائلاً: وهذه التَّأويلات الفاسدة من أشدّ وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمون؛ لأنَّها تؤدِّي إلى نقض بناء الشَّريعة حجراً حجراً، وإلى الخروج من ربقة الإسلام، وحلّ عُرَاه عروة عروة ؛ لأنَّها تجعل القرآن والسَّنة فوضى فاحشة يقال فيهما ما شاء الهوى أنَّ يقال، كأنهما لغو من الكلام، أو كلأ مباح للبهائم والأنعام، وأخيراً ينفرط عقد المسلمين، ويكون بأسهم بينهم من جرَّاء هذا العبث بتلك الضَّوابط الدِّينِيَّةِ الكبرى والحوافظ الأدبيَّة العظمى، ما دام لكلِّ واحد أنَّ يفهم من القرآن ما شاء له الهوى والشَّهوة ؛ دون اعتصام بالشَّريعة ، ولا التزام لقواعد اللُّغة ، لم يعدّ القرآن قرآناً، وإنَّما هما؛ الهوى والشَّهوة فحسب. لهذا شرطنا في التَّفسير ما شرطنا، وقِّي مقدَّمة شروطه؛ التزام قوانين الشَّريعة ، والتزام قواعد اللُّغة العربيَّة "(٤٧).

وبعد هذا السَّرد وتلك النُّقول اتَّضح بما لا يدع مجالاً للشَّكِّ، أنَّ التَّأويلات الباطنيَّة كانت غاية لأعداء الإسلام عبر التَّاريخ؛ للتَّشويه والتَّشكيك على عوامّ المسلمين، مستغلين غفلتهم، ومستعينين بأمِّيتهم، وبُعْدِهم عن منهج علمائهم البين وتلك الجهود المضنية المبذولة للحفَّاظ على عقائدهم؛ فكرّوا عليهم بالكفر، والشِّرك، والانحراف، ونشروا الخرافة والأسطورة ، حتَّى أصبح النَّاظر لتلك العقائد كالنَّاظر

(٤٦) تفسير المنار (٤٨/٦).
(٤٧) مناهل العرفان، لعبد الباقي الزرقاني (٧٤/٢-٧٦).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

لدين جديد غيَّر دين الإسلام الَّذي يعرفه علماء الإسلام، وهذه بداية – إنَّ شاء اللَّه- لجرد هذه الأفكار الهدّامة ، والمبادئ الباطلة، والاتجاهات الزَّائفة المنحرفة، في متابعة للقيام بالميثاق الغليظ الَّذي أخذه ربَّنا ï في كتابه الكريم على العلماء؛ كيٍّ يبيّنوا للنَّاس الحقائق، ولا يكتمونها، ويفضحوا عَوَار الباطل؛ بالعلم، والمنطق، والبرهان.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المراجع:

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد. *تفسير القرآن العظيم*. (ط١، ١٤١٩هـ). مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. مجموع *الفتاوى*. (١٤١٦هـ). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

ابن حزم، علي بن أحمد. *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. (١٤١٦هـ). مكتبة الخانجي، القاهرة.

ابن عادل، عمر بن علي. *اللباب في علوم الكتاب*. (ط١، ١٤١٩هـ). دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. (ط١، ١٤٢٢هـ). دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. *تفسير القرآن العظيم*. (ط٢، ١٤٢٠هـ). دار طيبة، الرياض.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. *إعلام الموقعين عن رب العالمين*. (ط١، ١٤٢٣هـ). دار ابن الجوزي، الدمام.

أبو حيان، محمد بن يوسف. *البحر المحيط في التفسير*. (١٤٢٠هـ). دار الفكر، بيروت.

البغوي، الحسين بن مسعود. *معالم التنزيل (تفسير البغوي)*. (ط٤، ١٤١٧هـ). دار طيبة، الرياض.

الرازي، محمد بن عمر (فخر الدين). *مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)*. (ط٣، ١٤٢٠هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. *مناهل العرفان في علوم القرآن*. (ط٣، ١٤٠٨هـ). دار الكتاب العربي، بيروت.

الزركشي، محمد بن بهادر. *البرهان في علوم القرآن*. (ط١، ١٤١٠هـ). دار المعرفة، بيروت.

رشيد رضا، محمد. *تفسير المنار*. (١٤١٠هـ). الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الغزالي، أبو حامد. *فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية*. (١٣٨٤هـ). دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

الماتريدي، محمد بن محمد. *تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)*. (ط١، ١٤٢٦هـ). مؤسسة الرسالة، بيروت.

النعمان الفاطمي، محمد بن محمد. *تأويل الدعائم*. (ط١، ١٩٥١م). دار المعارف، القاهرة.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413